منهج الإمام ابن جرير ﷺ في الاستدلال بالقرآن الكريم على المعاني في تفسيره

أ. هويدا بنت يوسف يعقوب نمنكاني*

سلم البحث في ١٤٤٤/٤/٢٦هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٤/٥/٢٨هـ

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى إبراز منهج الإمام ابن جرير ﷺ في الاستدلال بالقرآن الكريم على المعاني في تفسيره، وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخاتمة، جاء في التمهيد: تعريف الاستدلال بالقرآن الكريم على المعاني التفسيرية، والمبحث الأول بعنوان: أساليب الإمام ابن جرير في الاستدلال بالقرآن الكريم، واحتوى على مطلبين، هما: طريقته في ذكر صيغ الاستدلال بالقرآن، وطريقته في بيان وجه الاستدلال، وأما المبحث الثاني فهو بعنوان: منهج الإمام ابن جرير في الاستدلال بالقرآن الكريم، مع غيره من الأدلة، وتضمن ثلاثة مطالب، وهي: اختياره للآية المُستَدَل بها على المعنى، واقتران دليل القرآن بغيره من الأدلة، ومنزلة دليل القرآن عند وروده مع غيره من الأدلة. وخلص البحث إلى نتائج، منها: أن للإمام ابن جرير ﷺ صيغٌ متنوعة، في إيراد دليل القرآن، كالتصريح بلفظ الاستدلال أوالتعليل به، وفي بعض المواطن يكتفي بذكر الدليل دون التصريح باللفظ، كما عَمد الإمام ﷺ عند استدلاله للمعنى المراد إلى أوضح الأدلة، وأشدِّها ارتباطًا بالمعنى، وكذلك من عادته تقديم دليل القرآن على غيره من الأدلة، حيث لم يتقدم دليل القرآن دليلا آخر في هذه الدراسة إلا في ستة مواطن.

Abstract

The research aims to highlight the approach of Al-Imam Ibn Jarir-May Allah have mercy on him- in inferring with the of the Holy Qur'an on the meanings in his book of exegesis, the research included an introduction, a preface, and two sections. The preface includes the definition of the inference of the Holy Qur'an on the exegetical meanings. The first section is entitled: Methods of Imam Ibn Jarir in the inference with the Holy Quran, and it contained two chapters, they are: his method in mentioning the styles of inference in the Qur'an and his method in stating the point of the inference. As for the second section, it is entitled: The method of Imam Ibn Jarir-May Allah have mercy on him- in inferring with the Holy Qur'an with other evidence, It included three chapters, which are: his choice of the verse by which he inferred on the meaning, and the associating the evidence of the Qur'an with other evidence, and the status of the evidence of the Qur`an when it appears with other evidence.

* باحثة بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية القرآن والدراسات الإسلامية، جامعة جدة.

The research concluded with several results, the most important of which are: A-Imam Ibn Jarir-May Allah have mercy on him- has various forms in stating the evidence of the Qur'an, such as the mentioning the word (Al-Istidlal) The inference or reasoning with it, and in some cases he only mentions the evidence without stating the word, as he the does when inferring on the meaning to the clearest evidence, and the most closely related to the meaning, he also present the evidence of the Qur'an over other evidence, as he did not present any other evidence over the evidence of Qur`an except in six places.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد: فقد هيأ الله سبحانه لكتابه العزيز رجالا أفنوا أعمارهم في بيان معانيه وتفسيره، واستفرغوا جُهدهم في تعلمه وتعليمه، فحفظ الله بهم كتابه. ومن أوائل من صنف وأجاد؛ الإمام ابن جرير الطبري ﷺ، حيث قدَّم في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) منهجًا عمليًا فريدًا في بيان المعاني، والاستدلال عليها، ومن أبرز الأدلة التي اعتنى بها: الاستدلال بالقرآن، إذ أولاه عناية شديدة، فخير من يفسر القرآن من تكلم به، فهو بذلك أشرف الأدلة وأجلِّها، وأصلها وأبلغها.

ولما كان للاستدلال بالقرآن الكريم منزلة عظيمة في بيان معاني كتاب الله عز وجل، أردت الكشف عن منهج الإمام ابن جرير ﷺ في الاستدلال بالقرآن الكريم على المعاني التفسيرية.

أهمية البحث:

١-تعلقه بكتاب الله عزّوجل، والحث على زيادة تدبره، وإظهار معانيه.

٢-مكانة الاستدلال بالقرآن في تفسير القرآن، إذ أنه من أحسن طرق التفسير، وأجلها.

٣-قيمة تفسير الإمام ابن جرير الطبري ﷺ، ومكانته العلمية.

أهداف البحث:

١-إبراز باب جليل من أبواب أصول التفسير: وهو باب الاستدلال بالقرآن .

٢-التعريف بالاستدلال بالقرآن الكريم على المعاني التفسيرية.

٣-الكشف عن المنهجية العلمية التي سار عليها الإمام ابن جرير ﷺ في الاستدلال بالقرآن.

مشكلة البحث:

سيجيب البحث -إن شاء الله عن السؤالين التاليين:

- ما المراد بالاستدلال بالقرآن الكريم على المعاني التفسيرية؟

- ما هو المنهج الذي سار عليه الإمام ابن جرير ﷺ في الاستدلال بالقرآن الكريم على المعاني التفسيرية؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري وجدت أن هنالك عدة دراسات تناولت موضوع الاستدلال بالقرآن الكريم، منها ما تناولت موضوع الاستدلال بالقرآن الكريم بشكلٍ عام، ومنها ما تناولته عند ابن جرير ﷺ على وجه الخصوص، وبيانها كالتالي:

الدراسة الأولى: الاستدلال في التفسير، دراسة في منهج ابن جرير الطبري في الاستدلال على المعاني في التفسير، للدكتور: نايف بن سعيد الزهراني، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، بجامعة أم القرى، كلية أصول الدين، قسم الكتاب والسُّنة، نوقشت عام ١٤٣٤هـ، وصدّر الطبعة الأولى من هذه الدراسة مركز تفسير، عام ١٤٣٦هـ، في مجلد واحد، وعدد صفحاته (٦٩٥).

ولقد تناولت هذه الدراسة؛ الاستدلال في التفسير، بتحرير موضوعاته، ومسائله، عن طريق منهج ابن جرير فيه، فتناولت أدلة الاستدلال عند الإمام ابن جرير (النقلية)؛ من القرآن، والقراءات، والسُّنة، والإجماع، وأقوال السلف، ولغة العرب، وأحوال النزول، والإسرائيليات، كما أشارت إلى الأدلة العقلية.

ويظهر اختلاف هذه الدراسة عن موضوع دراستي من حيث العموم والخصوص، فقد اعتنى الباحث في هذه الدراسة بذكر منهج الإمام ابن جرير ﷺ في الاستدلال في التفسير بشكلٍ عام؛ بينما تُعنى دراستي بالاستدلال بالقرآن على وجه الخصوص، وتُعنى بالدراسة والتحليل لمواطن الاستدلال بالقرآن خلوصًا للكشف عن طريقة ابن جرير، ومنهجه فيه.

الدراسة الثانية: الاستدلال بالدليل القرآني في التفسير، دراسة موضوعية، للدكتورة: إيمان بنت عبد الإله بن محمد باجسير، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ونوقشت عام ١٤٤١ه، وصدّرت الطبعة الأولى من هذه الدراسة الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه تبيان، عام ١٤٤٢ه، في مجلد واحد، وعدد صفحاته (٤٧٩).

وتناولت الدراسة: تعريف الاستدلال والفرق بينه وبين التفسير، ومشروعية الاستدلال بالدليل القرآني وأنواعه وضوابطه، ومنهج الاستدلال به عند أهل السنة والجماعة، وعند الطوائف الأخرى، في التفسير.

ويظهر الاختلاف بين هذه الدراسة ودراستي من وجهين:

الوجه الأول: في المعنى المراد بالاستدلال؛ فتأتي هذه الدراسة بمعنى الاستدلال: أي استنتاج قضية أو حكم من الآيات القرآنية المفسرة مما يزيد في بيان الآية ويبين مقاصد الشارع منها، بينما تأتي دراستي بمعنى التدليل بالأدلة على إثبات صحة أو بطلان ما ذهب إليه المفسر من بيان لمعاني الآيات، أو للترجيح بينها.

الوجه الثاني: الدراسة لهذا البحث تأصيلية تناولت فيها كلام المفسرين بشكلٍ عام، بينما دراستي تناولت منهج ابن جرير ﷺ خاصة.

الدراسة الثالثة: الاستدلال بالقرآن عند الإمام ابن جرير الطبري ﷺ في تفسيره، دراسة نظرية تطبيقية من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة، للباحثة: إسراء بنت كامل مصطفى موريا، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة جده، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، نوقشت عام ١٤٤٤ه.

وبحثي هو إكمال لهذه الدراسة من سورة آل عمران إلى سورة الناس، دراسة نظرية.

خطة البحث:

بدأ البحث بمقدمة، يتبعها تمهيد، ومبحثان، وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: وفيه التعريف بالاستدلال بالقرآن الكريم على المعاني التفسيرية.

المبحث الأول: أساليب الإمام ابن جرير في الاستدلال بالقرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طريقته في ذكر صيغ الاستدلال بالقرآن.

المطلب الثاني: طريقته في بيان وجه الاستدلال.

المبحث الثاني: منهج الإمام ابن جرير في الاستدلال بالقرآن الكريم، مع غيره من الأدلة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اختياره للآية المُستَدَل بها على المعنى.

المطلب الثاني: اقتران دليل القرآن بغيره من الأدلة.

المطلب الثالث: منزلة دليل القرآن عند وروده مع غيره من الأدلة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

اتَّبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، والتحليلي، من خلال تتبع مواطن استدلال ابن جرير ﷺ بالقرآن الكريم من سورة آل عمران إلى سورة الناس، ثم دراسة تلك المواطن؛ لاستخلاص منهج الإمام ﷺ في ذلك. وإجراءات التوثيق

كالتالي:

- كتابة الآيات بالرسم العثماني، مع بيان اسم السورة ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، وماكان منها في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهما في التخريج، وما كان في غيرهما فإني أذكر حكم العلماء عليه.
- التوثيق في الهامش لأقوال أهل العلم، بذكر اسم الكتاب، والمؤلف، والجزء والصفحة.
- بيان الغريب الوارد في متن البحث، من كتب الغريب، ومعاجم اللغة.

تمهيد: تعريف الاستدلال بالقرآن الكريم على المعاني التفسيرية

أولا: الاستدلال في اللغة: هو استفعالٌ من الدليلِ، والتاء والسين بمعنى الطلب أو الاتخاذ(١). **والدليل:** هو المُرشِد إلى المطلوب، وأصله (دلَّ) أي بمعنى: إبانةُ الشَّيء بأَمارةٍ تتعلَّمُهَا(٢).

ثانيًا: الاستدلال في الاصطلاح: يُعدُّ الاستدلال من المصطلحات المشتركة في عددٍ من العلوم؛ كعلم الفقه وأصوله، والمنطق والكلام (٣).

فجاء من تعريفاته: أنه: "**طلب الدليل**، ويقع على فعل السائل، وهو مطالبته المسؤول بإقامة الدليل، ويقع على المسؤول؛ لأنه يطلب الدليل من الأصول"(٤).

ثالثًا: القرآن في اللغة: اختُلف في لفظ القرآن، على أنه اسم جامد غير مشتق، علمٌ على كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ(٥)، أو أنه اسم مشتق له أصلٌ في اللغة، فهو مشتقٌ من قرأ؛ بمعنى: الجمع والضم، والإظهار والإلقاء، وسمي القرآن بذلك لجمعه السور والآيات، ولأن تاليه يُظهره ويُلقيه (٦).

رابعًا: القرآن في الاصطلاح: هو كلام الله تعالى، المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته (٧).

خامسًا: مفهوم الاستدلال بالقرآن على المعاني: هو إقامة دليل القرآن؛ لتصحيح المعاني وقبولها، أو إبطالها وردّها (٨).

ويدخل في هذا دليل القراءات، والنظائر القرآنية، إذ أنَّ فيها بيانٌ بالقرآن؛ لكن المراد به في هذا البحث: هو "إقامة آية زائدةٍ في البيان دليلا على معنى آية أخرى؛ فيكون معنى هذه الآية في تلك الآية. وصفة زيادة البيان فيها: اشتمالها على معنى زائد عن معنى الآية المُفسَّرة"(٩).

المبحث الأول
أساليب الإمام ابن جرير ﷺ في الاستدلال بالقرآن الكريم
المطلب الأول: طريقته في ذكر صيغ الاستدلال بالقرآن

١- **التصريح؛** وذلك بأن تكون عبارته صريحة في الاستدلال: ومثاله: عند استدلاله على المراد بخلق الله في قوله تعالى إخبارًا عن قيل الشيطان: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩]، قال ﷺ عند ترجيحه: "وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قولُ من قال: ولآمرنهم فليغيرُنّ دين الله؛ **وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه،** وهي قوله: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠]"[١٠]، فصرَّح ﷺ بلفظ الاستدلال عند ذكره للآية المُستدَل بها.

٢- **التعليل؛** وذلك بأن يذكر الآية على سبيل التعليل لقبول المعنى أو رده؛ فيقول: (وعِلة هذا القول...)، (لقوله تعالى...)، (وذلك أن الله يقول...) (لأن الله جل ثناؤُه قال...)، ونحوه[١١]، ومثاله: عند استدلاله على المراد بالصلصال في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٦]: قال ﷺ: "والذي هو أولى بتأويل الآيةِ أن يكون الصلصالُ في هذا الموضعِ الذي له صوتٌ من الصلصلةِ، **وذلك أن الله تعالى وصفه** في موضعٍ آخر، فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤] [١٢].

٣- **ذكر الآية مباشرة دون التصريح أو التعليل وفي هذا طريقتين:**

- **الطريقة الأولى:** بيان المعنى ثم ذكر الدليل مباشرة [١٣]: ومثاله: عند الاستدلال على المراد بموضع الاستقرار في قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ [الأعراف: ٢٤]، قال ﷺ: ": "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر آدم وحواءَ وإبليسَ والحيةَ إذ أهبطهم إلى الأرضِ، أنهم عدوٌ بعضهم لبعض، وأن لهم فيها مستقرًا يستقرون فيه، ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقرًا في حالِ حياتهم دون حالِ موتهم، بل عمَّ الخبر عنها بأن لهم فيها مستقرًا، فذلك على عمومِه، كما عمَّ خبرُ الله، ولهم فيها مستقرٌّ في حياتهم على ظهرها، وبعد وفاتهم في بطنها، كما قال جل ثناؤه: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾ [المرسلات: ٢٥ – ٢٦]"[١٤]، فبعد أن بيَّن ﷺ أن المراد استقرارهم فيها حال حياتهم وحال مماتهم، استدل بدليل القرآن مباشرة دون التصريح بلفظ الاستدلال أو التعليل.

- الطريقة الثانية: ذكر الدليل مباشرة دون ذكر المعنى: يباشر بذكر الدليل مكتفيًا به عن بيان المعنى[١٥]: **و مثاله:** الاستدلال على المراد بما قصَّ الله على

نبيه ﷺ، في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ١١٨]، حيث قال ﷺ: "يقول تعالى ذكره: وحرمنا من قبلك يا محمد على اليهود ما أنبأناك به من قبل في سورة الأنعام، وذلك: ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٤٦]"[١٦].

المطلب الثاني: طريقته في بيان وجه الاستدلال.

١- **الاكتفاء بذكر الدليل دون ذكر وجه الدلالة منه**؛ وذلك حينما يكون المعنى ظاهرًا لا يحتاج إلى بيان[١٧]،ومن الأمثلة على ذلك: استدلاله على المراد بالدم الذي حُرّم على المؤمنين أكلُه في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾ [المائدة: ٣]، فقال ﷺ: " وأما الدم: فإنه الدمُ المسفوحُ دون ما كان مِنه غيرُ مسفوح؛ لأن الله جل ثناؤه قال: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] "[١٨]؛ فلم يذكر ﷺ وجه الدلالة من الآية إذ هو ظاهر، وبيانه: أن الآيتين جاءتا في ذكر المحرمات، وجاء إطلاق الدم في الآية الأولى وتفسيرها في الآية الثانية.

٢- ذِكر وجه الدلالة من الدليل؛ وذلك حينما يكون المعنى خفيًا ويحتاج إلى إيضاح [١٩]، ومن الأمثلة على ذلك: استدلاله على المراد بذهاب إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات: ٩٩]، قال الإمام ابن جرير ﷺ: " يقولُ تعالى ذكره: وقال إبراهيمُ لما أفْلَجَه(٢٠) اللهُ على قومه، ونجّاه من كيدهم: ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ يقولُ: إني مهاجرٌ من بلدة قومي إلى الله، أي: إلى الأرض المقدّسةِ، ومُفارِقُهم، فمُعْتَزِلُهم لعبادةِ الله"، ثم قال: "وإنما اخترتُ القولَ الذي قلتُ في ذلك؛ لأن الله تبارك وتعالى ذكَر خبرَه وخبرَ قومِه في موضع آخرَ، فأخبَر أنه لما نجّاه مما حاول قومُه من إحراقه، قال: ﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ [العنكبوت: ٢٦] ، ففسّر أهلُ التأويلِ ذلك أن معناه: إني مهاجرٌ إلى أرض الشام، فكذلك قولُه: ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ [الصافات: ٩٩]؛ لأنه كقوله: ﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ [العنكبوت: ٢٦] "[٢١].

المبحث الثاني

منهج الإمام ابن جرير ﷺ في الاستدلال بالقرآن الكريم مع غيره من الأدلة

المطلب الأول: اختياره للآية المستدل بها على المعنى.

يعمد الإمام عند استدلاله للمعنى المراد إلى أوضح الأدلة، وأكثرها أداء للمعنى، وقد أشار إلى هذا في مقدمة تفسيره، فقال: "لا شك أن أعلى منازل البيان درجة، وأسنى مراتبه مرتبة، أبلغه في حاجة المبين عن نفسه، وأبينه عن مراد

قائله، وأقربه من فهم سامعه"(٢٢)، وفي دليل القرآن يظهر هذا عند اختياره للآية القرآنية للاستدلال بها من بين نظائرها (٢٣)، وبيانه فيما يأتي:

١- **اختياره لأقوى الأدلة في البيان على المعنى،** ومن ذلك: عند استدلاله ﷺ على أن المراد بالسيئة التي استعجلها المشركون في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾[الرعد: ٦]، إنّما هي العقوبة والبلاء؛ بدليل قوله تعالى حكاية عنهم في موضع آخر: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأنفال: ٣٢] (٢٤).

فاستدل ﷺ بآية الأنفال مع أن هناك آيات أخرى في القرآن قد تشير إلى ذات المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج:٤٧] ، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [العنكبوت: ٥٣]؛ إلا أنه يُلاحظ أن الآية التي استدل بها ابن جرير ﷺ فصّلت نوعًا من أنواع العذاب وماهيته، وذلك في قوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنفال: ٣٢]؛ فكانت بذلك أقوى في البيان عن المعنى من الآيات الأخرى.

٢- **اختياره من الأدلة ما هو أشد ارتباطًا بالمعنى:** فعند استدلاله ﷺ على أن المراد بالهدى الذي يزداد منه المهتدون في قوله: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم:٧٦]، أنّه تجدد الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليهم سبحانه في آياته، بدلالة قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤](٢٥).

وعند النظر نرى من المفسرين من استدل بآيات أخرى غير الآية التي استدل بها ابن جرير ﷺ، كاستدلال السعدي ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢](٢٦)، وكلا الآيتين-آية التوبة وآية الأنفال- دلّت على المراد، إلا أن الآية التي استدل بها ابن جرير ﷺ كانت أقوى ارتباطًا بالآية المستدل لها-آية مريم- إذ أن كلتاهما كانتا في سياق المقارنة بين حال الكفار والمؤمنين مع آيات الله، قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم:٧٦-٧٧]، وقال في سورة التوبة: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]، بينما جاءت آية الأنفال في سياق ذكر أوصاف المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

المطلب الثاني: اقتران دليل القرآن بغيره من الأدلة:

سار الإمام ابن جرير ﷺ في تفسيره على الشمول والاختصار، وهذا هو منهجه الذي سار عليه في استدلالاته ﷺ، فيكتفي بذكر دليل واحد للدلالة على المعنى، وقد يقرن دليل القرآن بغيره من الأدلة عند الحاجة، وتفصيل هذا فيما يأتي:

أولا: الاكتفاء بدليلٍ واحدٍ من القرآن (٢٧)؛ وذلك في عدة حالات:

الحالة الأولى: عندما تكون العلاقة قوية بين الدليل وموضع الاستدلال؛ كأن تكون في ذات القصة أو ذات الموضوع أو غير ذلك، فيُغني هذا عن الحاجة إلى أدلة أخرى تقوي المعنى (٢٨).

- ومثاله: عند استدلاله ﷺ على أن المراد بالخصومة التي خاصم بها الإنسان ربه في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤]؛ إنّما هي خصومته وجداله في إنكار قدرة الله على البعث، بدليل قوله تعالى في سورة يس: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨](٢٩)، فكلا الآيتين تتحدثان عن خصومة الإنسان، إلا أنها جاءت في آية النحل مجملة، وفسَّرتها آية يس.

الحالة الثانية: عندما يكون للآية نظيرين أو أكثر فيستدل في الموضع الأول بعدة أدلة، ويكتفي في المواضع الأخرى بدليل واحد طلبًا للاختصار(٣٠).

- ومثاله: قوله تعالى: ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾، فقد ورد هذا اللفظ في آيتين:

الآية الأولى: في سورة النساء قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]،

الآية الثانية: في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

ومعنى ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾،أي: إلا باطلا، ويظهر الفرق عند استدلاله ﷺ أنه استدل في الآية الأولى بدليلين من القرآن، هما قوله تعالى عن قيل الشيطان: ﴿إِنَّ

ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾[إبراهيم: ٢٢]، وقوله: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٨]، .بينما اكتفى في الآية الثانية بدليل واحد وهو آية سورة إبراهيم عليه السلام (٣١).

الحالة الثالثة: عندما يكون المعنى عامًا، ويأتي استدلاله على وجه التمثيل لهذا المعنى، فيكتفي بمثال واحد إذ أنه لا يمكن ذكر جميع الأمثلة (٣٢)

- **ومثاله:** في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الأنعام:٣٧]، ذكر أن المراد بالآية التي طلب المشركون إنزالها أنها العلامة الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ، واستدل على ذلك بقولهم في موضع آخر: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ **[الفرقان:٧-٨]**، فذكر هنا مثال للآية وهو إنزال الملك، ومن المفسرين من ذكر أمثلة أخرى كإنزال الكتاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء:٩٠– ٩٣](٣٣).

ثانيًا: يورد أدلة أخرى مع دليل القرآن(٣٤)، وذلك في عدة حالات:

الحالة الأولى: عند الحاجة إلى تقوية المعنى –وهو الغالب–: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٢– ٤٤]، ذكر ﷺ أن المراد بفتح أبواب كل شيء عليهم: إنما هو إبدالهم مكان البأساء الرخاء، ومكان الضراء الصحة؛ استدراجًا لهم، ولتقوية هذا المعنى استدل بثلاث من الأدلة: القرآن وأقوال السلف وسياق الآية (٣٥).

الحالة الثانية: عند الحاجة إلى إثبات عدة معانٍ في الآية؛ فيورد لكل معنى من تلك المعاني دليلا يثبته (٣٦): كما عند استدلاله على أن المراد بقوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾[الأعراف:٤٠]: أن أبوب السماء لا تُفَتّحُ لأرواح الكفار ولا لأعمالهم،

ولإثبات هذا المعنى استدل بعدد من الأدلة:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠]، استدل به لإثبات دخول معنى أن أعمال الكفار لا تصعد إلى السماء.

الدليل الثاني: ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه ذكر قبض روح الفاجر، وأنه يُصْعَدُ بها إلى السماء، إلى أن قال: " فيصعدون بها فلا يمرون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيثُ؟ فيقولون: فلانٌ، بأقبح أسمائه التي كان يُدعَى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماءِ الدنيا، فيَستَفْتِحون له فلا يُفْتَحُ له". ثم قرأ رسول اللهﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[الأعراف: ٤٠] (٣٧)، استدل به لإثبات دخول معنى الأرواح في الآية (٣٨).

الحالة الثالثة: عندما تكون العلاقة بين الأدلة تكاملية؛ فيورد عددًا من الأدلة ليصل بها إلى دلالة واحدة تفيد المعنى الذي يريد إثباته: كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥]، ذكر ابن جرير ﷺ أن معنى الوفاة في هذه الآية هو القَبْضُ من الأرض بغيرِ موت وكانت طريقته في الاستدلال لهذا المعنى على خطوتين:

الخطوة الأولى: الاستدلال بالسنة النبوية؛ لإثبات موت عيسى عليه السلام بعد نزوله، وهو قوله ﷺ: «الأنبياء إخوةٌ لعَلَّاتٍ(٣٩)، أُمهاتُهم شتَّى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابنِ مريم؛ لأنه لم يكُن بيني وبينه نبيٌ، وإنه خليفتي على أمتي، وإنه نازلٌ، فإذا رأيتموه فاعْرِفوه...» إلى أن قال ﷺ: «فيثْبُتُ في الأرضِ أربعين سنةً، ثم يُتوفّى ويُصلي المسلمون عليه ويدفِنُونه»(٤٠).

الخطوة الثانية: الاستدلال بالقرآن الكريم؛ لإثبات أن لكل إنسان ميتةً واحدة، وهو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم:٤٠]

ووجه الدلالة منهما: أن الله سبحانه وتعالى لو كان قد أمات عيسى عليه السلام من قبل؛ لم يكن ليميته ميتةً أخرى، فيجمع عليه ميتتين بذلك، فاستدل ﷺ في هذا الموضع بدليلي القرآن والسنة ليصل إلى دلالةٍ واحدةٍ منهما؛ وقد قدّم دليل السنة على دليل القرآن، لأنهما كالخطوتين المتتاليتين في إيصال هذه الدلالة (٤١).

المطلب الثالث: منزلة دليل القرآن عند وروده مع غيره من الأدلة:

من عادة ابن جرير ﷺ تقديم دليل القرآن على غيره من الأدلة؛ وذلك لعلتين اثنتين: **أولهما:** شرف الدليل وجلالته من بين الأدلة. **وثانيهما:** قوة دلالته

على المعنى المراد (٤٢).

وجاء تقديم دليل القرآن في حالات عدة، ومن تلك الحالات:

الحالة الأولى: في مقام التفسير، حيث يقدم دليل القرآن على جميع أدلة المسألة (٤٣):

- **ومثاله:** قال ﷺ: " وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس:١١]، يقول: كذّبت ثمودُ بطغيانِها، يعني: بعذابِها الذي وعَدهموه صالحٌ عليه السلام ، فكان ذلك العذابُ طاغيًا طغى عليهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥].

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعةٌ من أهل التأويل..."(٤٤)؛ فقدَّم ﷺ دليل القرآن على أقوال السلف الواردة في الآية.

الحالة الثانية: في مقام الترجيح؛ حيث يجعل دليل القرآن هو المستند الأول لترجيح المعنى (٤٥):

- **ومثاله:** في قوله تعالى:﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، ذَكر الإمام ابن جرير ﷺ قولين عن أهل التأويل في بيان المراد بالمُداهنة، في قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، ثم رجّح بينهما فقال: "وأولى القولين في ذلك بالصوابِ قول من قال: معنى ذلك: ودّ هؤلاء المشركون يا محمدُ لو تلينُ لهم في دينِك بإجابتِك إياهم إلى الركونِ إلى آلهتهم، فيَلينون لك في عبادتك إلهَك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥]، وإنما هو مأخوذٌ من الدُّهن، شبّه التليينَ في القول بتليينِ الدُّهْنِ"(٤٦)، فقدَّم ﷺ دليل القرآن على اللغة، وجعله المستند الأول لترجيحه.

وقد يكتفي في مقام الترجيح بدليل واحد من القرآن(٤٧)، كما في قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، أورد الإمام ابن جرير ﷺ قولين عن السلف في بيان المراد باتخاذ القرآن مهجورًا، وقال في القول الثاني منهما: "وقال آخرون: بل معنى ذلك: الخبرُ عن المشركين أنهم هجروا القرآن، وأعرضوا عنه، ولم يَسمعُوا له" واستدل على هذا المعنى بقول عن ابن زيد ﷺ ثم قال: "وهذا القولُ أولى بتأويل ذلك؛ وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، وذلك هجرُهم إياه"(٤٨).

الحالة الثالثة: في مقام الردِّ على بعض الأقوال (٤٩):

- **ومثاله:** في قوله تعالى:﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ

لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال:١٩]، بيَّن ابن جرير ﷺ أنَّ المراد بقوله: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ﴾ [الأنفال:١٩]، أي: وإن تعودوا لقتال رسوله ﷺ وقتال أتباعه المؤمنين، نعد: أي: بمثل الواقعة التي وقعت لكم يوم بدر، ثم قال ﷺ: "وقد قيل: إن معنى قوله:﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ﴾ [الأنفال:١٩]، وإن تعودوا للاستفتاح نعد لفتح محمد ﷺ، وهذا القول لا معنى له؛ لأن الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه الصلاة والسلام حين أذن له في حرب أعدائه إظهار دينه وإعلاء كلمته من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه، فلا وجه لأن يقال والأمر كذلك إن تنتهوا عن الاستفتاح فهو خير لكم وإن تعودوا نعد؛ لأن الله قد كان وعد نبيه ﷺ الفتح بقوله:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾[الحج:٣٩]، استفتح المشركون أو لم يستفتحوا"(٥٠).

ومن خلال هذه الدراسة وجدت أن دليل القرآن لم يتقدمه دليلٌ آخر إلا في ستة مواضع (٥١):

منها: قول الإمام ﷺ: "وقوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، يقولُ: وهذا البلدِ الآمنِ من أعدائهِ؛ أن يحاربوا أهلَه، أو يغزُوهم. وقيل: ﴿ٱلۡأَمِينِ﴾، ومعناه: الآمنُ، كما قال الشاعرُ(٥٢):

ألم تَعْلَمي يا أَسْمَ ويحَكِ أنني ... حلَفتُ يمينًا لا أَخُونُ أَمِينِي

يريد: آمِني، وهذا كما قال جل ثناؤُه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ [العنكبوت:٦٧]"(٥٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد توفيق الله لي في إتمام هذا البحث، أود ذكر أهم النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

أولا: النتائج:

١. لابن جرير ﷺ في إيراد دليل القرآن صيغٌ متنوعة، تنتظم تحت ثلاثة أساليب، هي: التصريح بلفظ الاستدلال؛ كأن يقول: "ويدل عيه قوله.."، والتعليل بدليل القرآن، كأن يقول: "وعِلَّة هذا القول.."، وذكر الآية مباشرة دون التصريح أو التعليل.

٢. قليلا ما يصرح الإمام ﷺ بلفظ الاستدلال، حيث بلغ عدد المواطن التي صرَّح

فيها (موطن واحد)، بينما بلغ عدد المواطن التي علل فيها (١٦)موطناً، وفي معظم المواضع يباشر بذكر الدليل، وذلك في (٥٥) موطناً.

٣.للإمام ابن جرير ﷺ حالتان في ذكر وجه الدلالة: فيكتفي بذكر الدليل دون ذكر وجه الدلالة منه؛ حينما يكون المعنى ظاهرا، وبالمقابل يذكر وجه الدلالة، حينما يكون المعنى خفيًا.

٤.عَمد الإمام ابن جرير ﷺ عند استدلاله للمعنى المراد إلى أوضح الأدلة، وأشدِّها ارتباطا بالمعنى.

٥.اكتفى الإمام ابن جرير ﷺ بالاستدلال بدليل واحدٍ من القرآن، وذلك في حالات، منها:

أ- عندما تكون العلاقة قوية بين الدليل وموضع الاستدلال.

ب- عندما يكون للآية نظيرين أو أكثر؛ فيستدل في الموضع الأول بعدة أدلة، ويكتفي في المواضع الأخرى بدليل واحد طلبًا للاختصار.

ج- عندما يكون المعنى عامًا، ويأتي استدلاله على وجه التمثيل لهذا المعنى.

٦.قرن الإمام ابن جرير ﷺ دليل القرآن بغيره من الأدلة في حالات، منها:

أ- عند الحاجة إلى تقوية المعنى -وهو الغالب-.

ب- عند الحاجة إلى إثبات عدة معاني في الآية؛ فيورد لكل معنى من تلك المعاني دليلا يثبته

ج- عندما تكون العلاقة بين الأدلة تكاملية؛ فيورد عددًا من الأدلة ليصل بها إلى دلالة واحدة تفيد المعنى الذي يريد إثباته.

٧.من عادة الإمام ابن جرير ﷺ تقديم دليل القرآن على غيره من الأدلة، حيث لم يتقدم دليل القرآن دليلٌ آخر في هذه الدرسة إلا في ستة مواطن.

ثانيًا: التوصيات:

١.جمع استدلالات السلف بالقرآن الكريم في تفسير المعاني، ودراستها.

٢.دراسة أوجه الاستدلال عند المفسرين في الآية الواحدة.

٣.جمع الاستدلالات التي وافق فيها ابن جرير ﷺ استدلالات السلف في القرآن الكريم والسنة وأحوال النزول، ودراستها؛ فإن ذلك يعين على فهم مراد السلف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

هوامش البحث:

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٤٩/١١)، معجم مقاليد العلوم، للسيوطي(ص: ٧٧).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٥٩/٢). التعريفات، للجرجاني (ص: ١٠٤)
(٣) ينظر: التعريفات (ص: ١٠٤)، الكليات، لأبو البقاء الحنفي (ص:٤٣٩).
(٤) شرح اللُّمع، لأبي إسحاق الشيرازي (١٥٦/١).
(٥) ذكره القرطبي في تفسيره عن الشافعي (٢٩٨/٢).
(٦) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة (١/١)، تهذيب اللغة، للأزهري (٢٠٩).
(٧) ينظر: لوامع الأنوار البهية، لمحمد السفاريني (٢٩١/٢)، أصول في التفسير، لابن عثيمين (ص: ٦).
(٨) ينظر: الاستدلال في التفسير (ص:١٨٦).
(٩) صناعة التفكير في علم التفسير، (ص: ٢٨).
(١٠) جامع البيان (٥٠٢/٧).
(١١) ينظر: جامع البيان (٤٥١/٥)، (٥٦٧/٥)، (٤٥٦/٦)، (٣٥٠/٧)، (٢٤٤/٨-٢٤٥)، (٥٤/٨)، (٨٩/١١)، (٥٦/١٤)، (٢٣١/٩)، (٢٦٩/٩)، (٤١٣/١٧)، (٤٤٤/١٧)، (٥٧٦/١٩)، (١٦٥/٢٠)، (٦/٢١)، (٣٨٥/٢٢)، (٤٤٦/٢٤).
(١٢) جامع البيان (٥٦/١٤).
(١٣) ينظر: جامع البيان(٥٩١/٦)، (٤٢٢/٧)، (٥٠٤/٧)، (٢٤/٨)، (٣٥٧/٨)، (٥٣٣/٨)، (٥٥٠/٨)، (١٥٤/٩)، (٢٤٥/٩)، (٩٠-٨٩/١٠)، (١١٧/١٠)، (١٨٢/١٠)،(٤٠٦/١٠)، (٦٧/١٢)، (٢٢٥/١٢)، (٥٢٧/١٢)، (٤٣٤/١٣)، (٦٠٩/١٣)، (٣٢٧/١٤)، (١٢٤/١٤)، (٦١٦/١٥)، (٤٤٤/١٧)، (٤٦٩/١٨)، (٥٥٩/١٩)، (٩٠/١٧)، (٥٩١/١٧)، (٦٢٤/١٧)، (٢٠/١٩)، (٦٠/١٩)، (٥٥٩/١٩)، (٥٩٨/١٩)، (٣٦/٢٠)، (٤١٤/٢٠) ، (٣٧٣/٢١)، (٨٨/٢٢)، (٢٨٢/٢٢)، (١٢٧/٢٢)، (١٥٧/٢٣)، (٥٠٨/٢٤)، (٢٤١/٢٤)، (١٤٠/٢٤)،
(١٤) جامع البيان (١١٧/١٠).
(١٥) ينظر: جامع البيان (٦٦٦/٥)، (٢٦١/١٨)، (٥٩/١٩)، (٣٤٧/٢٠)، (٣٧٠/٢٠)، (٤٤٢/٢١)، (٨٣/٢٤)، (٢٠٨/١٠)، (١٦٥/١٤)، (٣٩١/١٤).
(١٦) جامع البيان (٣٩١/١٤).
(١٧) ينظر: جامع البيان (٥٩١/٦)، (٥٠٢/٧)، (٢٤/٨)، (٥٤/٨)، (٥٣٣/٨)، (١٥٤/٩)، (٢٤٥/٩)، (١١٧/١٠)، (٢٠٨/١٠)، (٤٠٦/١٠)، (٦٧/١٢)، (٤٣٤/١٣)، (١٦٥/١٤)، (٣٢٧/١٤)، (٣٩١/١٤)، (٦١٦/١٥)، (٥٥٩/١٩)، (٥٩١/١٧)، (٤٤٤/١٧)، (٦٢٤/١٧)، (٢٦١/١٨)، (٥٩/١٩)، (٦٠/١٩)، (٥٥٩/١٩)، (٣٦/٢٠)، (٣٧٠/٢٠)، (٤١٤/٢٠)، (٦/٢١)،(٨٨/٢٢)،(٢٨٢/٢٢)،(١٢٧/٢٢)،(١٥٧/٢٣)،(٥٠٨/٢٤)،(٢٤١/٢٤)،(٨٣/٢٤).
(١٨) جامع البيان (٥٤/٨).
(١٩) ينظر: جامع البيان(٤٥١/٥)، (٥٦٧/٥)، (٤٥٦/٦)، (٦٦٦/٥)، (٣٥٠/٧)، (٤٢٢/٧)، (٥٠٤/٧)، (٢٤٤/٨-٢٤٥)، (٥٥٠/٨)، (٢٦٩/٩)، (٨٩/١٠)، (١٨٢/١٠)، (٨٩/١١)، (٢٢٥/١٢)، (٥٢٧/١٢)، (٦٠٩/١٣)، (٥٦/١٤)، (٥٠٤/٧)، (١٢٤/١٤)، (٤٦٩/١٨)، (٩٠/١٧) ، (٤١٣/١٧)، (٤٤٤/١٧)، (٢٠/١٩)، (٥٧٦/١٩)، (٥٩٨/١٩)، (٥٠٢/٧)، (٣٤٧/٢٠)، (٣٧٣/٢١)، (٤٤٢/٢١)، (٣٨٥/٢٢)، (٤٤٦/٢٤)، (١٤٠/٢٤)،
(٢٠) فلج: الفلج وهو الظهور والفوز والظفر. ينظر: جمهرة اللغة (٤٨٧/١)، تهذيب اللغة (٦١/١١)، الصحاح، للجوهري (٣٣٥/١).
(٢١) جامع البيان (٥٧٦/١٩).

(٢٢) جامع البيان (٩/١).
(٢٣) ينظر: جامع البيان(٥٩١/٦)، (٣٥٠/٧)، (٢٦٩/٩)، (٤٦٩/١٨)، (٩٠/١٧)، (٥٠٢/٧)، (٦/٢١)، (٤٤٢/٢١)، (٣٨٥/٢٢)، (٤٤٤/١٧)، (٥٠٨/٢٤)، (٤٣٤/١٣).
(٢٤) ينظر: جامع البيان (٤٣٤/١٣-٤٣٥).
(٢٥) ينظر: جامع البيان (٦١٦/١٥).
(٢٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٩٩).
(٢٧) ينظر: جامع البيان(٥٠٢/٧)، (٦١٦/١٥)، (١٥٤/٩)، (٢٦٩/٩)، (٢٠/١٩)، (٥٩/١٩)، (٨٨/٢٢)، (١٢٧/٢٢)، (٣٨٥/٢٢)، (٤٤٤/١٧)، (٨٣/٢٤)، (٢٤٤/٨-٢٤٥)، (٣٥٧/٨)، (٤٦٩/١٨).
(٢٨) ينظر: جامع البيان(٥٢٧/١٢)، (٥٦/١٤)، (٦٠/١٩)، (٦٢٤/١٧)، (١٦٥/١٤)، (٣٢٧/١٤).
(٢٩) ينظر: جامع البيان(١٦٥/١٤)،
(٣٠) ينظر: جامع البيان (٣١٩/١٦) و (٥٥٩/١٩)، (٥٠٤/٧) و (٦٦٦/١٤)، (٦٢٣/١٥) و (٥٩١/١٧) و(٤٦٩/١٨).
(٣١) ينظر: جامع البيان (٥٠٤/٧)، (٦٦٦/١٤).
(٣٢) ينظر: جامع البيان (٥٥٠/٨)،(٢٣١/٩)،(٢٢٥/١٢)، (٣٤٧/٢٠)،(٣٧٠/٢٠)، (٤١٤/٢٠).
(٣٣) استدل بهذه الآيات: ابن كثير والسعدي. ينظر: تفسير ابن كثير (٢٥٣/٣)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٥).
(٣٤) ينظر: جامع البيان (٤٥١/٥)، (٥٦٧/٥)، (٤٥٦/٦)، (٦٦٦/٥)، (٥٩١/٦)، (٣٥٠/٧)، (٤٢٢/٧)، (٢٤/٨)، (٥٤/٨)، (٥٣٣/٨)، (٢٤٥/٩)، (٨٩/١١-٩٦)، (٦٧/١٢)، (٣٩١/١٤)، (١١٧/١٠)، (١٨٢/١٠)، (٤٠٦/١٠)، (٤٣٤/١٣) ، (٦٠٩/١٣)، (١٢٤/١٤)، (٩٠/١٧)، (٤١٣/١٧)، (٤٤٤/١٧)، (٢٦١/١٨)، (٥٧٦/١٩)، (٥٩٨/١٩)، (٣٦/٢٠)، (٥٠٢/٧)، (٦/٢١)، (٣٧٣/٢١)، (٤٤٢/٢١)، (٢٨٢/٢٢)، (١٥٧/٢٣)، (٥٠٨/٢٤)، (٤٤٦/٢٤)، (٢٤١/٢٤)، (١٤٠/٢٤).
(٣٥) ينظر: جامع البيان (٢٤٥٠٢٤٦/٩).
(٣٦) ينظر: جامع البيان (٨٩/١٠-٩٠)، (٢٠٨/١٠).
(٣٧) أخرجه أحمد في"مسنده" (٥٠٣/٣٠)(١٨٥٣٤)، واللفظ له، وقال محققه الأرنؤوط:"إسناده صحيح"، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"(١٧٠/٣)(٤٢٦٦): "رواه أحمد رجاله رجال الصحيح"، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٤٦٨/٧)(١٢١٨٥)، بنحوه، والحاكم في "مستدركه"(٣٩/١)(١١٢)، بنحوه، وقال:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"، من حديث البراء بن عازب ﷺ مرفوعًا.
(٣٨) ينظر: جامع البيان (١٨٢/١٠-١٨٤).
(٣٩) علل: العلّات هم من كان أبوهم واحد، وأمهاتهم مختلفات. ينظر: الصحاح(١٧٧٣/٥)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢٩١/٣)، المصباح المنير، لأبي العباس الحموي (٤٢٦/٢).
(٤٠) أخرجه أبو داود في "سننه" (٢٠١/٤)، (٤٣٢٤)، وأحمد في "مسنده" (٣٩٨/١٥)، (٩٦٣٢) ، وقال محققه الأرنؤوط:"حديث صحيح"، وابن حبان في "صحيحه(٢٣٣/١٥)، (٦٨٢١)بنحوه، من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا. وقال ابن حجر في "الفتح"

(٤٩٣/٦):"وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح"، وقال الألباني في "صحيح الجامع الصغير"(٩٥٠/٢)، (٥٣٨٩): "صحيح".
(٤١) ينظر: جامع البيان (٤٥٢/٥).
(٤٢) ينظر: الاستدلال في التفسير (ص:١٩٠).
(٤٣) ينظر: جامع البيان (٢٤/٨)، (٥٤/٨)، (٥٣٣/٨)،)، (٨٩/١٠-٩٠)، (١٨٢/١٠)، (٢٠٨/١٠)(٤٠٦/١٠)، (٦٧/١٢)، (٤٣٤/١٣)، (٣٩١/١٤)، (٩٠/١٧)، (٤١٣/١٧)، (٢٦١/١٨)، (٣٩١/١٤)، (٤٤٢/٢١)، (٢٨٢/٢٢)، (٤٤٦/٢٤)،)، (٢٤١/٢٤).
(٤٤) جامع البيان (٤٤٦/٢٤).
(٤٥) ينظر: جامع البيان(٥٩١/٦)، (٣٥٠/٧)، (٤٢٢/٧)، (٥٩٨/١٩)، (١٥٧/٢٣)، (١٤٠/٢٤)، (٦٠٩/١٣)، (٦٦٦/٥).
(٤٦) جامع البيان (١٥٧/٢٣).
(٤٧) ينظر: جامع البيان(٥٠٢/٧)، (٤٤٤/١٧)، (٢٠/١٩)، (٥٧٦/١٩)، (٦/٢١)، (٤٥٦/٦).
(٤٨) جامع البيان (٤٤٤/١٧).
(٤٩) ينظر: جامع البيان (٢٤٥/٩)، (٨٩/١١-٩٦).
(٥٠) جامع البيان (٨٩/١١-٩٦).
(٥١) ينظر: جامع البيان(٤٥١/٥)، (٥٦٧/٥)، (٣٧٣/٢١)، (٥٠٨/٢٤)، (١٢٤/١٤).
(٥٢) البيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء(٢٧٦/٣)، والجامع لأحكام القرآن(١١٣/٢٠).
(٥٣) جامع البيان (٥٠٨/٢٤).

فهرس المراجع:

١.الاستدلال في التفسير، لنايف بن سعيد الزهراني، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الأولى ١٤٣٦ه-٢٠١٥م.
٢.أصول في التفسير، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٣.تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠-١٩٩٩م.
٤.تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.
٥.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٦.جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٧.الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٨.سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي ــ بيروت – لبنان، ترقيم

الأحاديث، وفق طبعة: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.
٩.شرح اللمع، أبو إسحاق إبراهيم الشيرازي، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٤٠٨)
١٠.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين،١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
١١.صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البُستي، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
١٢.صحيح الجامع الصغير وزياداته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
١٣.كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
١٤.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٥.لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأنصاري، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
١٦.لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.
١٧.مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.
١٨.مجمع الزوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت– ١٤١٢هـ.
١٩.مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٢٠.المستدرك على الصحيحين، للحاكم، دار المعرفة – بيروت – لبنان، ترقيم شركة حرف.
٢١.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المكتبة العلمية – بيروت، د.ت.
٢٢.المصنف لابن أبي شيبة، لأبو بكر بن أبي شيبة، دار القبلة – جدة – السعودية ، مؤسسة علوم القرآن – دمشق – سوريا ، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م
٢٣.معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ط١، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ٢٠٠٥م.
٢٤.معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة/مصر، الطبعة: الأولى،١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤ م.
٢٥.معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٦.النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.